ضَلَلْتُ زَمَانًا لَسْتُ أَعْرِفُ الهُدَى
وَقَدْ كَانَ ذَاكُمْ ظُلْمَةٌ فِي فُؤَادِيَا
فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ دَفْعِيَ لِلهُدَى
أَبَانَ سَبِيلَ الحَقِّ لِي وَهَدَانِيَا
فَأَلْقَيْتُ عَنِّي ظُلْمَةَ الغَيِّ وَالرَّدَى
وَيَمَّمْتُ نُورًا لِلْهِدَايَةِ بَادِيَا
وَصِرْتُ إِلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
رَشِيدًا ومِنْ بَعْدَ الضَّلَالَةِ دَاعِيَا

من رحمة الله ﷻ بالعباد: أن جعل الهداية بيده، وقد سمى الله نفسه بـ (الهادي ﷻ).

ونقف مع هذا الاسم، ونحن نسأله: أن يهدينا إلى الحق بإذنه وإلى صراط مستقيم:

يقول ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾[الحج: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾[الفرقان:٣١].

فربنا ﷻ الَّذِي يَهْدِي وَيُرْشِدُ عباده إلى جلب المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبةً إليه، منقادةً لأمره ﷻ.

❐ وهداية الله للإنسان..

على أربعة أوجهٍ:

أولاً: الهداية العامة، وهي: هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهي هداية شاملة للحيوان كله؛ ناطقه وبهيمه، طيره ودوابه، فصيحه وأعجمه.

ثانيًا: هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، وهي: حجة الله ﷻ على خلقه؛ التي لا يعذب أحدًا منهم إلا بعد إقامتها عليه.

قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[فصلت:١٧].

ثالثًا: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق والرضا به، فالله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾[الإسراء:٩٧]، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾[التغابن:١١]، ولذا؛ أمر ﷻ عباده أن يسألوه الهداية؛ بل أرشدهم إلى أن يسألوه الهداية في كل ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة:٦].

رابعًا: الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة؛ فالله ﷻ قال: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾[محمد:٥]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف:٤٣].

وأما الهداية إلى النار؛ فالله ﷻ قال: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾[الصافات:٢٢-٢٣].

❐ كلما زدت هداية زدت ارتقاء..

والهداية: أكبر نعمة ينعم بها (الهادي) على عبده، وكل نعمة دونها زائلة.

فالراسخون في العلم أكثر الناس حرصًا على هذه النعمة، وهم يدعون الله بعدم زوالها: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨].

وإن الهداية لا نهاية لها؛ ولو بلغ العبد فيها ما بلغ! ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية هداية أخرى، إلى غير غاية، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى؛ فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى، قال ﷻ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[مريم:٧٦].

وكلما فوت حظًّا من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه، ومن حصل له الهدى؛ حصل له النعيم الأبدي، فالله ﷻ قد قال: ﴿ٱهْدِنَا

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧].

وعلامة الهداية: انشراح الصدر؛ قال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[الأنعام:١٢٥]، ومن هداه الله ﷻ فلا أحد يستطيع أن يضله، والعكس صحيح؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾[الزمر: ٣٦-٣٧].

ولذا؛ كان من أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى»[أخرجه مسلم]، وعلم عليًّا ﷺ بقوله: «قُلْ: اللَّهُمَّ! اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»[أخرجه مسلم].

وعلم ﷺ الحسن بن علي ﷺ أن يقول في قنوت الوتر: «اللَّهُمَّ! اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

من خطورة العيش بين الطاعة و المعصية أنك لا تدري في أي فترة منهم ستكون الخاتمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "الذنوب من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاجٌ إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب".

❐ اقرع باب السماء!

قال ﷻ على لسان إبراهيم ﷺ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾

[الصافات:٩٩].

اذهب إلى الله بضعفك يأتيك بقوته.. اذهب إلى الله بذلك يأتيك بعزه.. اذهب إلى الله بوحشتك يأتيك بأنسه.. اذهب إلى الله بفقرك يأتيك بغناه.. اذهب إلى الله بهمك يأتيك بفرجه.. اذهب إلى الله بحزنك يأتيك بفرحه.

إِلَهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّنِي ... أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ

إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لاَ ... بَنُوْنَ وَلاَ مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ

❐ أخيرًا..

يقول الشيرازي ﷺ: "سهرت ليلة مع أبي وحولنا نِيام، فقلت: لم يقم من هؤلاء من يصلي ركعتين! فقال: يا بني! لو نمتَ لكان خيرًا لك من وقوعك في الخلق".

استقامتك لا تُعطيك الحق في السخرية من ضلال غيرك؛ فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فلا تغتر بعملك ولا بعبادتك، فهي مِنَّة من الله عليك؛ فسلِ الله الثبات لك والهداية لغيرك؛ فالله قال لنبيه -خير البشر-: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء:٧٤]، فكيف بك ؟!!".

اللهم يا هادي! اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.